التناص القرآني في شعر جرير

د.عمر لحسن

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار- عنابة

الملخص :

لقد سعى الشعراء منذ أقدن العصور إلى استلهام النصوص الدينية وتوظيفها في أشعارهم ، وأن يعطوا لهذا التوظيف بعدا جماليا متميزا ، وكأنهم يريدون أن يجعلوا أشعارهم تتعالى لتقترب من قداسة هذه النصوص الدينية. وقد كان جرير يشبه ممدوحيه بالأنبياء والرسل ، ليخلع عليهم من صفات هؤلاء الرجال من أولي العزم والصبر وقوة العقيدة والإيمان الذي لا تزعزعه الجبال، مستوحيا هذه الصور وهذه الدلالات من القرآن الكريم. كما حث خلفاء بني أمية الشعراء إلى توظيف القرآن في أشعارهم لتدعيم حكمهم ، ودحض حجج خصومهم في الحكم ، فهم الذين دفعوا بالشعراء إلى خلق مذهب الجبرية والقدرية، ليصبح بعد ذلك مذهبا فكريا وفلسفيا له أنصاره من الفلاسفة وعلماء الكلام .

Résumé :

Les poètes ont essayé, depuis les cultures les plus anciennes, de fructifier les textes sacrés et de les utiliser dans leurs poésies, et de donner à cette utilisation une dimension esthétique, comme s'ils voulaient que leurs poèmes se rapprochent de cette sacralité. Pour cette raison que le poète Jarir compare les califes et émirs auxquels il adresse ses poèmes dithyrambiques aux prophètes, dans le but de leur donner les qualités de ces hommes choisi par Dieu pour porter son message aux hommes, et qui étaient connus pour leurs volontés, leurs patiences, leurs forces et leurs fois inébranlables, toutes ces qualités que le poète a puisé du Coran. Les califes omeyyades ont aussi poussé les poète à s'inspirer du Coran dans leurs poésies dans le but de renforcer leur dynastie, et repousser les avis de leurs ennemis, car ce sont eux qui poussé ces poètes à créer le mouvement الجبرية والقدرية , mouvement qui deviendra plus tard une tendance philosophique connu dans la culture arabo-musulmane.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة :

تكتسي هذه الدراسة دلالة خاصة في شعر جرير ، بالنظر إلى عاملين اثنين؛ أولهما أن العصر الذي عاش فيه الشاعر عصر أخذت فيه الأبعاد الدينية في المجتمع قيمة خاصة ، حيث أصبح الدين يحكم جميع مستويات الحياة، السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية، بالنظر إلى التأثير الذي أحدثه الإسلام في نفوس المسلمين ، الذين اكتشفوا فيه ما كان ينقصهم في حياتهم الجاهلية ، بفضل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الحنيفة. أما العامل الثاني ، فهو عامل شخصي يرتبط بشخصية الشاعر نفسها، فهو رجل عرف بتدينه وورعه وخوفه من الله، بالرغم مما قيل عنه ، وما اشتهر به من شعر هجائي بذيء وفاحش في كثير من الأحيان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **مفهوم التناص :**

نشأ مصطلح التناص بين أحضان الدراسات اللسانية في أول أمره [1]، غير أن العالم الروسي ميخائيل باختين هو الذي أولاه عناية خاصة وقام بتوضيحه في كتابه (فلسفة اللغة)، وقد قصد به: الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص - أو لأجزاء من نصوص - سابقة عليها ، والذي أفاد منه بعد ذلك العديد من الباحثين [2] ، حتى استوى مفهوم التناص بشكل تام على يد جوليا كرستيفا .

وقد أنجزت كرستيفا دراسات إجرائية وتطبيقية للتناص في كتابها ثورة اللغة الشعرية (révolution du langage poétique) [3]، وعرفت فيه التناص بأنه « التفاعل النصي في نص بعينه»[4]، وترى جوليا أن «كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى» [5].

وفي الوقت الذي انصرفت فيه جوليا كريستيفا عن التناص إلى اهتمامات أخرى ، واصل غيرها من النقاد تطوير المفهوم وتوسعة المصطلح ، وهناك من تجاوز مفهوم كريستيفا للتناص ، كما هو الشأن عند "جيرار جينيت" الذي حدد تصنيفا جديدا للعلاقات النصية في كتابه الشهير "الطروس" (Palimpestes): (حيث يعني الطرس الصحيفة القديمة التي امحت ثم كتب عليها من جديد ، دون أن تتمكن الكتابة الجديدة من محو الكتابة القديمة تماما). وقد جعل "جينيت" التناص صنفا من خمسة أصناف (علاقات نصية) سماها بالمتعاليات النصية (les transcendances textuelles) ، حيث يعرف التعالي النصي بأنه كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو مستترة مع غيره من النصوص. وقد حصر جينيت المتعاليات النصية في خمس علاقات، هي :

1 - التناص (intertextualité) .

2 - المناصصة (paratextualité) .

3 - النصية الواصفة (الشارحة) (métatextualité) .

4 - التعلق النصي (hypertextualité) .

5 - معمارية النص (جامع النص architextualité) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعليه ، تشكل المتعاليات النصية عند جيرار جينت تطورا في مفهوم التناص ، وتحولا منهجيا بلغ بالمفهوم آفاقا أوسع ، وربما ستراهن السنوات القادمة على انزياحات جديدة في المفهوم والمصطلح .

وإذا ما انتقلنا إلى مفهوم التناص ونشأته في الأدب العربي نجد أن المصطلح جديد لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، فـ « ظاهرة تداخل النصوص هي سمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل»[6] . فاهتمام العرب قديما بظاهرة السرقات الأدبية، وتأليفهم الكتب والمؤلفات يظهر بشكل جلي مدى تأصل ظاهرة التناص في الشعر العربي ، وهذا لا يعد أمراً غريباً لأن التناص أمر لا بد منه ، « لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماماً مثل الكائن البشري ، فهو لا يأن فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ ، إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي ، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه »[7]. وعلى الرغم من هذه الموازنات والسرقات والمعارضات والجدل الطويل الذي دار بين النقاد القدامى الذين درسوا هذه الظواهر التي تتفاوت فيها الصلة بين النص الجديد والنص القديم [8]، إلا أن هذا الجهد يدل على انشغال الثقافة العربية بعلاقة النصوص بعضها ببعض، وإدراك النقاد القدامى « للغة والأسلوب من جهة وبنية الخطاب من جهة أخرى، وهكذا أنزلوا الأولى منزلة السرقة والثانية منزلة الإجبار الذي هو شرط أسبق في بناء الخطاب»[9]. وبذلك يكونون قد أدركوا مضمون التناص . وقد أضاف النقاد العرب المعاصرين الكثير من الإضافات حول مصطلح التناص ضمن جوهره فعرفه محمود جابر عباس بإسهاب بأنه « اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنيوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين »[10] .

وقد توسع أيضا بذكر التحولات التي تحدث في النص الجديد نتيجة تضمينه للنص الأصلي مع احتفاظ كل نص منهما بمزاياه وأصدائه وتتركز قدرة الشاعر اللاحق على تعميق إيحاءات النص بحيث يعطيه أبعاداً جديدة، كما عرفه الدكتور أحمد الزعبي بأنه « أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ، وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل »[11] ، وتعريفات التناص كما بينها النقاد الحداثيون كثيرة جدا ومتشعبة ، وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يصب في النهاية في كونه تأثر نص بنص سابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التناص القرآني في شعر جرير:

قال هاجيا عباد الجحافي (بسيط) :

لَمَّا أَضَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ قَالَ لَهُمْ أَخْلَفْتُمْ عِنْدَ أَمْرِ اللهِ مِيعَادِي [12]

في هذا البيت تضمين لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [13] . يجري جرير مقارنة بين المهجو ، وهو عباد الجحافي وبين الشيطان ، حيث يقول إن عبّاد قد خذل أتباعه وأخلفهم مثلما خذل الشيطان ابن آدم ؛ إذ دله على طريق الشر وأوقعه في المهالك والآثام ، وبعدها تخلى عنه ، مدعيا مخافة الله تعالى، وكذلك فعل عباد ، فقد وعد أتباعه الذين انضموا إليه في خروجهم عن طاعة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في اليمن ، ومحاربته ، غير أن الخليفة بعث إليهم بجيش تحت قيادة يوسف ابن عمر الثقفي ، فهزمهم وقتل يوسف عبادا ، منهيا بذلك ثورتهم ، ومفندا وعود عباد لأتباعه .

قال يمدح يزيد بن عبد الملك (بسيط) :

أَمَّا يَزِيدُ فَإِنَّ اللهَ فَهَّمَهُ حُكْمًا وَأَعْطَاهُ مُلْكًا وَاضِحَ النُّورِ [14]

حقا لقد استطاع الشاعر أن يطوع النصوص القرآنية ويستلهم المعاني العليا والدلالات التي اشتمل عليها النص القرآني ، بما يخدم المعاني والأفكار التي يريد أن يوصلها إلى المتلقي ، وكيف لا وهو الذي تشبع بالعقيدة الإسلامية في أنصع صورها . وفي هذا البيت الذي يمدح يزيد بن عبد الملك [15] ، اختار الآية التي يقول الله عزّ وجلّ ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [16] . إن الفكرة التي يريد الشاعر أن يوصلها إلى الناس هي أن الخلافة قد منحت إلى هذا الخليفة من الله ، الذي أعطاه القدرة على تسيير الدولة وعلّمه وفهّمه الأمور مثلما جعل سيدنا سليمان يتعلم منطق الطير ويهبه ملكا لم ينبغ لأحد . فالحكمة والملك هبة من الله لأنه أهل لها ، فكأن الله اختاره أن يكون خليفته في هذه البلاد الإسلامية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال يمدح قومه (بسيط) :

أَقْصِرْ بِقَدْرِكَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَنَا وَمَا لِمَا قَدْ قَضَى ذُو العَرْشِ تَبْدِيلُ [17]

في هذا البيت يهجو أبا كامل السعدي ، فيقول له أقصر بقدرك ، أي يجب ألاّ تحاول بلوغ المستوى الذي بلغناه من المجد والقدر ، وأن مصدر عزنا ورفعتنا نابع من تفضيل الله لقبيلتنا على سائر القبائل ، وأن أي شيء قضاه الله ، فلا يمكن أن تجد له مرد أو تبديل ، والشاعر يشير إلى قوله تعالى في محكم تنزيله ﴿ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [18] ، وقوله جلّ وعلا ﴿ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [19] ، أي ما يغير ما سبق في اللوح المحفوظ تنبيها من الله على أن ما علمه أن سيكون يكون على ما قد علمه لا يتغير عن حاله ، وقيل لا يقع في قوله خلف [20] . ونلاحظ الكيفية التي يستغل بها الشاعر المعاني الواردة في العقيدة الإسلامية ، إذ أنه علم أن كل مسلم مطالب بأن يؤمن بالقضاء خيره وشره ، لذلك فهو يربط المرتبة العالية التي يزعمها لقبيلته بقضاء الله الذي لا يستطيع شخص أن يبدله .

وقال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك (بسيط) :

قَدْ كَانَ قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَهُمْ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ صِدْقٍ وَإِجْهَادِ [21]

مَنْ يَهْدِهِ اللهُ يَهْتَدْ لاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادِي [22]

هذان البيتان من قصيدة يمدح فيها الشاعر الخليفة الأموي، حيث حاكى قوله تعالى ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾[23]، وقوله جل وعلا ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [24] . إنما الذي نراه أكيدا أن جريرا تأثر في هذا البيت تأثرا واضحا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أثر عنه أنه كان يفتتح خطابه، بعد أن يحمد الله ويثني عليه ، بقوله « من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» [25]. إن الضلالة حسب الشاعر لا مرد لها إذا كانت واقعة في أناس يتميزون بالجهل والعزوف عن الدين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال يمدح هشام بن عبد الملك (وافر) :

وَحَبْلُ اللهِ تَعْصِمُكُمْ قُوَاهُ فَلاَ تَخْشَى لِعَوْرَتِهِ انْفِصَامَا [26]

اقتبس الشاعر في هذا البيت قوله تعالى : ﴿ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [27]. والبيت في مدح الخليفة هشام بن عبد الله، إذ يمدحه بأنه متمسك بتعاليم الدين الإسلامي، مستعملا لفظة الحبل، ذلك أن « حلبه هو الذي معه التوصل به إليه من القرآن والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أداك إلى جواره » [28].

قال يمدح عمر بن عبد العزيز (بسيط) :

نَالَ الخِلاَفَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ [29]

يقول خالد محمود عزام في تعليقه على هذا البيت « وقد أبدع جرير في هذا البيت أيما إبداع ؛ حيث استخدم الألفاظ ذاتها للمعنى الذي يقصده ، بتعبير لغوي لا مثيل له» [30] . وذكر الإمام الطاهر بن عاشور ذلك في تفسيره التحرير والتنوير ، عندما عرض لتفسير قوله تعالى ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [31] ، حيث يقول : « ثم جئت على قدر يفيد بأن ما حصل لموسى من الأحوال كان مقدرا من الله تقديرا مناسبا متدرجا ، بحيث تكون أعماله وأحواله قد قدرها الله وحددها تحديدا منظما ؛ لأجل اصطفائه وما أراد الله من إرساله ؛ فالقدر هنا كناية عن العناية بتدبير إجراء أحواله على ما يسفر عن عاقبة الخير ، فهذا تقدير خاص وهو العناية بتدرج أحواله إلى أن بلغ الموضع الذي كلمه الله منه . وليس المراد القدر العام الذي قدره الله لتكزين جميع المخلوقات ؛ فإن ذلك لا يشعر بمزية لموسى عليه السلام ، وقد انتبه إلى هذا المعنى جرير بذوقه السليم ، فقال في مدح عمر بن عبد العزيز:

نَالَ الخِلاَفَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ » [32] .

حقيقة لقد وُفق الشاعر في هذه المقابلة التي أجراها بين تقدير الله الخلافة لعمر بن عبد العزيز ، وتقديره بعث موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وتكليمه عند الوادي المقدس . وقد سبق أن أشرنا أن جريرا يمدح خلفاء بني أمية بأحقيتهم بالخلافة التي يعدها هبة من الله ، وأنها قضاء وقدر ، ولا يجب لأي كان أن يعترض على مشيئة الله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك (بسيط) :

أَنْصَار حَقٍّ عَلَى بُلْقٍ مُسَوَّمَةٍ أَمْدَادُ رَبِّكَ كَانُوا خَيْرَ أَمْدَادِ [33]

يقول إن الله عز وجل أمدّ جيوش الخليفة هشام بملائكة يمتطون خيولا بلقاء معلّمة ، ذلك أن هذه الجيوش تقاتل في سبيل الله ، فجاءت الملائكة لتنصر الحق ، لتنصر الإسلام وتهزم الكفر، فكانوا بذلك خير مدد يناله الجيش المسلم، لأن الملائكة لا تعصي الله وتفعل ما يأمرها به. ولا يمكن أن ينصر الله أي جيش إلا إذا كان على حق ويقاتل فعلا في سبيل الله، فالله عز وجلّ وعد المتقين بنصر منه في مناسبات عدة من القرآن، منها قوله تعالى ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [34]، وقوله عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [35] ، وهما الآيتان اللتان استمد منهما جرير معنى بيته السابق وألفاظه.

ويقول متغزلا بزوجته أمامة (وافر) :

فَإِنَّكِ يَا أُمَامَ وَرَبِّ مُوسَى أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَا [36]

ضمّن الشاعر بيته هذا قوله تعالى ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [37]. لم يضف القرآن لفظ (ربّ) إلى نبي آخر غير موسى ومعه هارون . وجرير ، إذ يختار أن يقسم بما ورد في القرآن ، فكأنه أراد أن يبالغ في القسم فيحلف بما حلف به الله جلب قدرته ، ليكون ذلك عند أمامة أدعى للقبول ، وأقرب للتصديق . كما أنه يربط حبه بالدين الإسلامي ، ليقول لها إنها أحب إليه من أي مسلم صلى لربه وصام شهره ، وكأنه يقول إنني مسلم حقا أحب في الله وأكره في الله ، وليس لي أية علاقة بغير المؤمنين .

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك (بسيط) :

فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَا لَهُمُ سِوَى التَّوَكُّلِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ زَادِ [38]

يقول الشاعر إن الجيوش التي بعثها الخليفة للنيل من أحد أعدائه ، وهو أحد زعماء الخوارج اليمنيين ، كانت مدعومة من الله الذي وفقهم في محاربة أعدائه، فأمدهم بالملائكة يحاربون معهم ويساندونهم، حتى تنزل عليهم السكينة ؛ ومن كانت الملائكة تدعمه فهو لا محالة منتصر على أعدائه . فهذه الملائكة لا تعصي الله ، وتفعل ما يأمرها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بـه ، وفي البيـت تضـمين لقولـه تعـالى ﴿ وَلَـهُ مَـنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـنْ عِنْـدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[39].

قال يمدح الوليد (كامل) :

ذُو العَرْشِ قَدَّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً مُلِّكْتَ فَاعْلُ عَلَى المَنَابِرِ وَاسْلَمِ ![40]

يقول إن الوليد خليفة لله في الأرض ، وأن خلافته قدر مقدور ، قدّره العلي العظيم صاحب العرش والأمر الذي تصدر عنه أعمالنا في الكون صدور الضوء عن الشمس ، فلا يمكن ردها ، لأنها تصدر بقضاء نافذ محتوم . ويقول له كذلك بما أنك أنت الملك الحاكم بأمر الله ، فيجب أن تكون قدوة لرعيتك ، لأنك إمامهم وقائدهم ، فيجب أن تصعد فوق المنابر وأن تكثر من الخطب وأن توجه الأمة إلى ما يحبه الله ويرضاه ، وهذا دور منوط بالخليفة والإمام .

يدعو جرير في هذا النوع من المديح إلى مبدأ الجبر في القضاء ، فخلافة الأمويين قدر مقدور منذ الأزل ، وكذلك أوامرهم وكل ما يصدر عنهم ، حتى ما قد يكون من سفك دماء؛ فإعمال الإنسان تحكم بقوة إلهية خارجة عن سلطانه، وهي قوة أعطى الله صولجانها لبني أمية، فهم خلفاء الله ورسوله في الأرض، وعلى العباد أن ينفذوا مشيئته وإرادته ، وليس للعباد إلا أن يرضوا عنهم ، ويصدعوا بمشيئتهم ، لأنها تستمد من مشيئة الله [41] .

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك (بسيط) :

لاَقَوْا بُعُوثَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ لَهُمْ كَالرِّيحِ إِذْ بُعِثَتْ نَحْسًا عَلَى عَادِ [42]

يصف جرير في هذا البيت الجيوش التي بعث بها الممدوح ، وهو الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك، حيث يقول إن هذه الجيوش سريعة وقوية تقضي على كل شيء يعترض طريقها وهي تشبه في ذلك الريح التي بعثها الله عز وجل نحسا على عاد، وقد قال الله عز وجل في قصتهم ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾[43].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال مادحا هشام بن عبد الملك (وافر) :

- أَمِيرُ المُؤْمِنينَ قَضَى بِعَدْلٍ أَحَلَّ الحِلَّ وَاجْتَنَبَ الحَرَامَا [44]
- أَمِيرَ المُؤْمِنينَ ! جَمَعْتَ دِينًا وَحِلْمًا فَاضِلاً لِذَوِي الحُلُومِ [45]
... أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ [46]

يذكر مجموعة من الصفات التي يراها ضرورية في خليفة الله فوق أرضه ، وهي العدل في القضاء ، وإحلال الحلال واجتناب الحرام ، فقد جمع بذلك بين التقوى والحلم، ففاضل به ذوي الأحلام الراجحة . وإذا تفرقت السبل ، نراه يستمسك بحبل الله وصراطه المستقيم مستجيبا لأمر ربه الذي قال في كتابه العزيز ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [47]. وفي هذا إشارة إلى الملل والنحل، والأحزاب التي ظهرت في عصره تطالب كلها بحقها في الملك، كالشيعة والزبيرية والخوارج ، أو التي لديها عقيدة مختلفة كالمعتزلة والجبرية والجهمية . فهي ، في رأيه ، فرق ضالة خرجت عن السبيل القويم ، أما هشام فهو الوحيد الذي خوّل له أن يكون خليفة الله في الأرض، بما اتصف به من صفات .

قال يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك (كامل) :

لَمَّا رَأَتْكَ عَلَى العُقَابِ مُلُوكُهُمْ أَلْقَوْا سِلاَحَهُمُ وَخَرُّوا سُجَّدَا [48]

ما من شك أن الشاعر استلهم عجز البيت من قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [49] ، وقوله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [50] .

غير أن المعنى الذي قصده الشاعر يختلف اختلافا واضحا عن معنى الآيتين ، إذ المقصود بالسجود في القرآن سجود العبودية والتذلل لله ، خوفا من عذابه وطمعا في مغفرته وجنته . أما سجود الملوك فهو سجود خضوع واستسلام البشر للبشر ، خضوع المنهزم للذي هزمه وتغلب عليه في الحرب ، وشتان بين المعنيين . غير أن جرير استطاع بحسه اللغوي السليقي ، أن يوظف هذه الألفاظ (خروا - سجدا) ليعطي لبيته رونقا وجمالا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال يمدح يزيد بن عبد الملك (كامل) :

آلُ المُهَلَّبِ فَرَّطُوا فِي دِينِهِمْ وَطَغَوْا كَمَا فَعَلَتْ ثَمُودُ فَبَارُوا [51]

تأثر جرير في هذا البيت بآيتين من كتاب الله العزيز ، منها قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [52] ، وقوله عز وجل : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [53] . لقد جمع بين لفظتي (ثمود) و(طغى) ، ثم جعل ثمود هم الطاغون ، وشبه تفريط آل المهلب بدينهم وتجاوزهم الحد في الكفر - على زعمه - كطغيان ثمود الذين استحقوا ما لحق بهم من عذاب ، واستعمل لفظة (باروا) ذلك إن البوار هو الهلاك .

وإذا كان جرير قد تأثر في الأمثلة السابقة باللفظ القرآني دون المعنى ، فإنه في هذا البيت قد جمع بين اللفظ والمعنى ، يستلهم المواقف القرآنية التي تنتمي إلى العقيدة الإسلامية السمحة . والتفريط في الدين معناه الخروج عن جادة الطريق ومخالفة شرع الله، وهو الطغيان الذي وصفت به ثمود .

قال يهجو الأخطل :

يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ وَكِتَابُنَا بِأَكُفِّنَا الأَيْمَانِ [54]

هذا البيت فيه اقتباس من مجموعة من الآيات ، منها قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [55]، وقوله جلّ وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيُصَلَّى سَعِيرًا ﴾[56] . إن سياق هذا البيت سياق هجاء ومدح ؛ يهجو الأخطل التغلبي النصراني ، مستعملا نوعا جديدا من المعاني المستمدة من العقيدة الإسلامية ، لم يعهد مثلها في العصر الجاهلي ، ويقول إن مصيره وأهله النصارى يوم القيامة الخزي والمهانة . أما في الشطر ، فيمدح نفسه وقومه لأنهم مسلمون ، سوف يعطون صحائفهم بأيمانهم، ويدخلون الجنة خالدين فيها، لأنهم لم يشركوه في الربوبية والألوهية وفي العبادة ، واجتنبوا المعاصي والنواهي.

وقال يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي (وافر) :

دَعَا الحَجَّاجُ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ فَأَسْمَعَ ذَا المَعَارِجِ فَاسْتَجَابَا [57]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الدعاء الذي يقصده الشاعر في هذا البيت هو الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [58] . وهو النبي الوحيد الذي دعا على قومه بالهلاك ، لأنه هو الذي أبقاه الله أطول مدة يدعوهم فيها إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به (950 سنة) ، فعلم أن بقاءهم مفسدة محضة ، والدليل على ذلك أن الله عز وجل استجاب لدعوته وأغرقهم جميعا إلا الذين آمنوا معه . وقد استغل الشاعر هذه القصة ، مشبها الحجاج بسيدنا نوح ، فدعا على أهل العراق بالهلاك ، لأنهم قوم فاسدون لا يمكن أن يصلح أمرهم مهما حاول الخليفة أو واليه . فاستجاب له ربه وساعده على التغلب على أعدائه . ولكن شتان بين دعاء النبيّ نوج ودعاء الحجاج ، غير أن الشعراء عرفوا دوما بمبالغاتهم في الأوصاف والمدائح.

وقال يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي (وافر) :

دَعَا أَهْلَ العِرَاقِ دُعَاءَ هُودٍ وَقَدْ ضَلُّوا ضَلاَلَةَ قَوْمِ هُودِ

ما من شك أن الشاعر متأثر باللفظ والمعنى القرآني الوارد في الآيات الكريمة التي اشتملت على دعوة سيدنا هود عليه السلام عندما أرسله الله عز وجل إلى قومه عاد ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [59] . يجعل الشاعر دعوة الحجاج أهل العراق مثل دعوة سيدنا هود أهله المشركين الذين افتروا على الله . وفي هذا مبالغة كبيرة، إذ يرمي أهل العراق بالكفر والشرك ، وهو ما يصرح به في عجز البيت إن يعادل بين أهل العراق وقوم هود، فكلاهما قد ضل سواء السبيل .

قال يهجو التيم (بسيط) :

قَوْمٌ لَهُمْ خَصَّ إِبْرَاهِيمُ دَعْوَتَهُ إِذْ يَرْفَعُ البَيْتَ سُورًا فَوْقَ تَأْسِيسِ [60]

يبدو أن الشاعر قد ضمن بيته هذا مجموعة من الآيات القرآنية، حيث يشير الشطر الأول إلى قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [61] ، وقوله عز وجل ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [62] .

فما يمكن أن نفهمه من هذا الشطر أن قوم جرير الذين يفتخر بهم يُعدّون من أحفاد سيدنا إبراهيم، فهم الذين خصهم بدعائه الذي ورد في الآيتين ، لأنهم مؤمنون ومهتدون يعبدون ربهم ويأتمرون بأوامره ويجتنبون نواهيه. أما في الشطر الثاني ، فهناك تضمين لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[63].

وفي هذا دليل على الثقافة الواسعة التي يتمتع بها جرير: فهو يمدح قومه بما يناسب ذلك من القرآن، وعلمه بأن البيت الحرام كان مؤسسا له قبل سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ اقتصر عمله على رفع القواعد من البيت ، واقترن رفع القواعد والبناء بالدعاء في الآيات القرآنية الكريمة كلها [64] .

قال يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك (بسيط) :

كُونُوا كَيُوسُفَ لَمَّا جَاءَ إِخْوَتُهُ وَاسْتَعْرَفُوا قَالَ : مَا فِي اليَوْمَ تَثْرِيبُ [65]

في هذا البيت تأثر واضح بقوله تعالى ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [66] . وما من شك أن الشاعر يطلب من بني أمية أن يكونوا ذوي أخلاق عالية ونفوس سمحة قادرة على المغفرة عند المقدرة وكظم الغيظ ، لأن ذلك من شيم الأنبياء وأولي العزم[67] . وما دام يمدحهم بأنهم خلفاء الله في الأرض ، فيجب أن تتوفر فيهم بعض صفات الأنبياء ، فالله لا يمكن أن يختار إلا الأصلح ليكون خليفته في الأرض. وهذه الصفات تجعل الرعية تحبهم وتطيعهم، كما أنها تحقق لهم الفلاح يوم القيامة.

ويقول من القصيدة نفسها (بسيط) :

اللهُ فَضَّلَهُ وَاللهُ وَفَّقَهُ تَوْفِيقَ يُوسُفَ إِذْ وَصَّاهُ يَعْقُوبُ [68]

أفاد الشاعر من اللفظ القرآني ، فيضرب مثلا بالصورة القرآنية المرسومة في أذهان كل المسلمين ، المتمثلة في قصة يوسف عليه السلام وما لاقاه من كيد إخوته ، فأراه الله عز وجل الرؤيا المشهورة التي قصها القرآن على لسانه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [69]. وقد استفاد الشاعر من هذه الصورة ليذكر الأخوين سليمان وعبد العزيز ابني الوليد اللذين وقع بينهما تباعد وجفاء، بسبب ولاية العهد[70]، بأن الشيطان قام بدوره فنزغ بينهما. ولذلك يجب ألا يقعا في ما وقع فيه إخوة يوسف ، من الغيرة والحسد ، اللذين أديا إلى محاولة القتل . يريد أن يوفق بين الأخوين بأن يذكرهما بقصة يوسف ، وأن البيعة التي وقعت هي اختيار وتوفيق من الله ، فلا يحق للأخ أن يعترض على مشيئة الله ، ولا أن يجافي أخاه .

قال يجيب الفرزدق (طويل) :

تَغَمَّدَهُ آذِيُّ بَحْرٍ فَغَمَّهُ وَأَلْقَاهُ فِي فِي الحُوتِ فَالحُوتُ آكِلُهْ [71]

الشاعر متأثر لا محالة بالقرآن الكريم، الذي روى لنا قصة سيدنا يونس، الذي التهمه الحوت، وقد جاء ذكر قصته في عدد من آي الذكر الحكيم ، منها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ [72]، بل إن هناك سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم هذا الرسول الكريم، وقوله ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ، إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [73] . فأهل الجزيرة العربية بدو ليس لهم دراية بشؤون البحر وما فيه من مخلوقات، فلولا أن ذكر الحوت جاء في القرآن ما كنا نجده عند الشاعر.

قال يهجو الأخطل (وافر) :

كَأَنَّهُمُ الثَّعَالِبُ حِينَ تَلْقَى هِزَبْرًا فِي العَرِينِ لَهُ انْتِحَامُ [74]

يقدم لنا الشاعر صورة يشبه فيها نفسه بالأسد الهزبر ، والشعراء الآخرين بالثعالب ، ويبدو أنه استوحى قوله تعالى ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [75]، غير أنه استعمل نوعا آخر من الحيوانات ، وهو الثعلب . فهو يقول إن الشعراء الذين تصدوا لمناقضته ما إن سمعوا صوته ، وما نظم فيهم من شعر إلا فرّوا جميعا ، وحاول كل واحد منهم أن يختبئ في مكان آمن ، يحميه من هذا الأسد الكاسر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختياره لهذا الحيوان بالذات دون غيره لم يأت عرضيا ، بل لما اشتهر به من دناءة وخبث ومكر عند العرب ، كما اشتهر بالروغان والميل عن الحق ، والابتعاد عن جادة الصواب . وقد اشترك مع حيوانات أخرى في كونه ينبش القبور ويولع بالقتلى والجيف[76]. فهو لا يكتفي بوصفهم بالفزع الشديد كما في الآية الكريمة ، بل يضيف إليه الدلالات التي يحملها اسم هذا الحيوان في الثقافة العربية ، وكلها دلالات تقترن بالموت والخبث والروغان والفزع والدمار.

قال يهجو الأخطل (بسيط) :

إِنَّ الأُخَيْطِلَ خِنْزِيرٌ أَطَافَ بِهِ إِحْدَى الدَّوَاهِي التِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ [77]

ويدل الخنزير عند العرب - قديما - على الشر والنكد والإفلاس وعلى المال الحرام، وقيل الخنزير في المنام عدو قوي ملعون خدوع عند النوائب غدار[78] . فقد ارتبط الحيوان في الثقافة العربية بالبشاعة والخداع والغدر ، وهي المعاني التي يقصدها الشاعر الذي يشبه به شخصا. وسبب هذا الموقف العربي من الخنزير أن الله عز وجل ذكر هذا الحيوان عند ذكره للمحرمات، وذكره عند ذكره للمسخ ، حيث ربطه بالقرد في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [79] .

يقول إن الأخطل خنزير ، مشيرا إلى أن النصارى هم من أكلة لحوم الخنزير ، وأنهم من سلالة بني إسرائيل الذين مسخهم الله إلى خنازير وقردة ، فكل مسيحي في نظره خنزير في الأصل، وربما في ذلك إشارة إلى بشاعة منظرهم ، وروائحهم النتنة لأنهم لا يعرفون إلى الطهارة سبيلا . فهم يعيشون في النجاسة والأوساخ مثل الخنازير التي لا تجد راحة إلا في وسط الأوحال . وفي الشطر الثاني من البيت يتوعده بخطب عظيم ومصيبة تنتظره متمثلة في الشعر الذي يهجوه هو به، فهو بمثابة الداهية القاصمة التي يترقبها المرء خشية وهلعا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- خاتمة:

ما يمكن أن نستنتجه من هذه الدراسة أنها اشتملت على عدد كبير من الألفاظ التي تدل على أن الشاعر أدرك معنى الربوبية و الألوهية بذكره لأسماء الله (وإن لم يذكرها كلها لأن المقام لا يتطلب ذلك) ، وأدرك كذلك معنى التوحيد الذي يتحقق على مستويين عند أغلب علماء التوحيد ، هما : التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي ، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي ، وهو توحيد الإلهية [80] .

كما دلت على أن للشاعر ثقافة دينية قرآنية واسعة ، استطاع أن يوظفها في شعره ، وأن يعطي لهذا التوظيف بعدا جماليا متميزا ، وكأنه يريد أن يجعل شعره يتعالى ليقترب من النص القرآني العظيم . فهو يشبه ممدوحيه بالأنبياء والرسل ، ليخلع عليهم من صفات هؤلاء الرجال من أولي العزم والصبر وقوة العقيدة والإيمان الذي لا تزعزعه الجبال .

يمكن القول إن جريرا اندمج في رغبة بني أمية الذين وظفوا الشعر والشعراء لتدعيم حكمهم ، ودحض حجج خصومهم في الحكم ، فهم الذين دفعوا بالشعراء إلى خلق مذهب الجبرية والقدرية، ليصبح بعد ذلك مذهبا فكريا وفلسفيا له أنصاره من الفلاسفة وعلماء الكلام .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الهوامش والإحالات :

1 - شربل داغر ، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد 16، العدد الأول ، القاهرة ، 1997، ص 127 .

2 - محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، ج 3 : الشعر المعاصر، درا توبقال، المغرب ، ط1، 1990، ص ص 183- 185.

3 - ثورة الكلام الشعري ، وهو عبارة عن رسالة الدكتوراه التي ناقشتها في فرنسا . والعنوان كاملا هو :

La Révolution Du Langage Poétique: L'avant-Garde À La Fin Du Xixe Siècle, Lautréamont Et Mallarmé. Paris: Éditions du Seuil, 1974

4 - انظر المرجع نفسه ، ص 128.

5 - أحمد الزعبي ، التناص نظرياً وتطبيقياً ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 2 ، 2000 ، ص 12.

6 - عبد الله الغذامي ، ثقافة الأسئلة : مقالات في النقد والنظرية ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ط 2 ، 1992 ، ص 119 .

7 - المرجع نفسه ، ص 111 .

8 - علي العلاق، الدلالة المرئية ، دار الشروق ، عمان ، ط 1 ، 2002 ، ص 52 .

9 - محمد بنيس ، الشعر المعاصر، ص 183 .

10 - محمود جابر عباس ، استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث ، علامات في النقد ،ج 46، م 12، نادي جدة الأدبي ، شوال 1423 هـ ، ص 266 .

11 - أحمد الزعبي ، التناص نظرياً وتطبيقياً ، ص 11 .

12 - جرير ، الديوان ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1986 ، ص 117 .

13 - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

14 - الديوان ، ص 189 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

15 - هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . ولد في دمشق سنة 71 هـ على وجه التقريب ، وبويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه ابن عمه عمر بن عبد العزيز في نهاية شهر رجب من سنة 101 هـ . ينظر محمد قباني ، الدولة الأموية من الميلاد والسقوط ، ص 59 – 60 . وينظر الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 14 ، 1999 ، ج 8 ص 185. وينظر المرصفي (سيد بن علي)، رغبة الآمل من كتاب الكامل ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1348 هـ، ج 1 ص 60 .

16 - سورة الأنبياء ، الآية 79 .

17 - جرير ، الديوان ، ص 315 .

18 - سورة يونس ، الآية 63 .

19 - سورة ق ، الآية 29 .

20 - ينظر سميح عاطف الزين ، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (مجمع البيان الحديث) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط 2 ، 1984، ص 113 .

21 - جرير ، الديوان ، ص 117 .

22 - المصدر نفسه ، ص 117 .

23 - سورة الأعراف ، الآية 178 .

24 - سورة الإسراء ، الآية 97 .

25 - ابن قيم الجوزية ، شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، اعتنى به وحققه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد ، دار ابن الهيثم ، القاهرة 2005 ، ص 185 – 186 .

26 - جرير ، الديوان ، ص 381 .

27 - سورة آل عمران ، الآية 103 .

28 - سميح عاطف الزين ، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (مجمع البيان) ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2 ، 1984 ، ص 218 .

29 - جرير ، الديوان ، ص 205 .

30 - خالد محمود عزام ، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد (الأردن) ط 1 ، 2007 ص 106 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

31 - سورة طه ، الآية 40 .

32 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس 1997 ، ج 8 ص 222.

33 - جرير ، الديوان ، ص 117 . البَلَقُ سواد وبياض، وكذا البُلْقةُ بالضم. يقال فرس أبْلقُ وفرس بَلْقاءُ، وقد أبْلَقَ ابلِقَاقاً. المسومة: المعلّمة.

34 - سورة آل عمران ، الآية 125 .

35 - سورة الأنفال ، الآية 9 .

36 - جرير ، الديوان ، ص 407 .

37 - سورة طه ، الآية 70 .

38 - جرير ، الديوان ، ص 117 .

39 - سورة الأنبياء ، الآيتان 19 - 20 .

40 - جرير ، الديوان ، ص 370 .

41 - ينظر شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952، ص 126 - 127.

42 - جرير ، الديوان ، ص 117 .

43 - سورة فصلت ، الآية 15 - 16 .

44 - جرير ، الديوان ، ص 380 .

45 - المصدر نفسه ، ص 382 .

46 - المصدر نفسه ، ص 382 .

47 - سورة الأنعام ، الآية 153 .

48 - جرير ، الديوان ، ص 139 . العُقَابُ : من قلاع الروم .

49 - سورة يوسف ، الآية 100 .

50 - سورة السجدة ، الآية 15 .

51 - جرير ، الديوان ، ص 165 .

52 - سورة الحاقة ، الآية 05 .

53 - سورة الزمر ، الآية 56 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

54 - جرير الديوان ، ص 437 .

55 - سورة الإسراء ، الآية 71 .

56 - سورة الانشقاق ، الآيات 7-12 .

57 - جرير ، الديوان ، ص 23 .

58 - سورة نوح ، الآيات 26 - 28 .

59 - سورة هود ، الآيات 50 - 52 .

60 - جرير ، الديوان ، ص 241 .

61 - سورة إبراهيم ، الآية 35 .

62 - سورة إبراهيم ، الآية 40 .

63 - سورة البقرة ، الآية 127 .

64 - ينظر خالد محمود عزام ، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية ، ص 111 - 112 .

65 - جرير ، الديوان ، ص 36 .

66 - سورة يوسف ، الآية 92 .

67 - من ذلك القصة التي وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم مع ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأخيه من الرضاع يوم فتح مكة ، حيث خاف من أن ينتقم منه الرسول ، وهو الذي نكل به شر تنكيل قبل هجرته إلى المدينة ، فنصحه علي بن أبي طالب بقوله : قل له ما قال ليوسف إخوته ﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾، فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل ما أجاب يوسف عليه السلام إخوته لا تثريب عليك اليوم يغفر الله لك . ينظر ابن هشام (أبو محمد بن عبد الملك بن هشام المعافري)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث ، طنطا (مصر) ، ج 4 ، ص 19 .

68 - جرير ، الديوان ، ص 36 .

69 - سورة يوسف ، الآيتان 4 - 5 .

70 - كان الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي يريد أن يأخذ البيعة لابنه عبد العزيز ، فوقع خلاف بين الأخوين حول ذلك الأمر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

71 - جرير ، الديوان ، ص 363 .

72 - سورة الصافات ، الآيات 140 - 144 .

73 - سورة القلم ، الآيات 48 - 50 .

74 - جرير ، الديوان ، ص 387 . انتحام : صوت يخرج من صدر الإنسان أو الحيوان .

75 - سورة المدثر ، الآيات 49 - 51 .

76 - ينظر نوري القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار عالم الكتب بيروت ومكتبة النهضة العربية بيروت ، ط 2 ، 1984 ، ص 171.

77 - جرير الديوان ، ص 194 . الدواهي : جمع داهية : الخطب العظيم .

78 - نوري القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، ص 225 .

79 - سورة المائدة ، الآية 60 .

80 - حافظ الحكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط 1 ، 2004 ، ص 74 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com